الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية

تأليف

أ.د. عبد الله عبد الغني سرحان

أستاذ البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية بالقاهرة

وكلية العلوم الإنسانية - جامعة الملك خالد - أبها

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

الناشر

مركز التدبر للاستشارات التربوية والتعليمية.

الطبعة الأولى
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

المملكة العربية السعودية.
الرياض - الدائري الشرقي - مخرج ١٥
هاتف ٢٥٤٩٩٩٣ - تحويلة: ٣٣٣
ناسوخ ٢٥٤٩٩٩٦
ص.ب.٩٣٤٠٤ الرمز: ١١٦٨٤
البريد الحاسوبي tadabbor@tadabbor.com

ⓒ عبدالله عبد الغني سرحان، ١٤٣٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

سرحان، عبدالله عبدالغني
الأسرار البلاغية في الفرائد القرآنية. / عبدالله عبد الغني سرحان - الرياض، ١٤٣٣ هـ
٣٢٥ ص، ١٧ × ٢٢سم
ردمك: ٩ - ٠٦١٨ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١ - البلاغة العربية أ. العنوان
ديوي ٤١٤ ١٤٣٣ / ٧١٤١

رقم الإيداع: ١٤٣٣ / ٧١٤١
ردمك: ٩ - ٠٦١٨ - ٠١ - ٦٠٣ - ٩٧٨

الأسرار البلاغية

في

الفرائد القرآنية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الـذي أنزل القرآن بلسان عـربي مبين، تحدى به الإنس والجن أجمعين، فعجزوا عن مجاراته، وانقمعوا أمام فصاحاته وبلاغاته، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وأفصح الخلق أجمعين، وعلى آله، ومن سار على نهجه إلي يوم الدين.

أما بعـدُ...

فالقرآن الكريم هو كتاب الله الخالد الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنفد غرائبه، ولا تتناهى لطائفه، ولا ينقطع مدده وعطاؤه على مر الدهور، وكر الأعوام.

وقد أنزله اللطيف الخبير بميزان حكيم، وقسطاس مستقيم يلائم جلالـه وكماله فجاء في قمة الإعجـاز، وذروة البيـان معنى ونظمًا ومفردات، فكل لفظة فيه بل كل حرف قد وضع في موضع سديد، ومكان رشيد، لو حاولتَ أن تضع حرفًا

آخر مكانه لما تأدى المعنى المراد، وفات الغرض المقصود، واختل الأسلوب، وتغير نظمه الفريد، وانتثر نضده المونق البديع، وهذا يعني أن اصطفاء حروفه ومفرداته قد بلغ الغاية، وشارف النهاية.

من هذا المنطلق أخذت أطوف في رحاب الذكر الحكيم، فعثرت من ضمن ما عثرت على أحد كنوزه المتراكمة، ولآلئه الجمة المتزاحمة، وهي الألفاظ الفرائد التي ذُكرت مرة واحدة في القرآن لم يتكرر جذرها اللغوي على أي صورة من الصور، من حيث مادتها وصيغتها وهيئتها، وكان بوسع الذكر الحكيم أن يستعيض عن هذه الألفاظ، أو تلك الفرائد بألفاظ أخرى - وردت في القرآن وكلام العرب - تحتوي على معناها وتشتمل على فحواها، لكنه لما آثر التعبير بتلك الفرائد دون ما يقاربها كان وراء الإيثار سر من الأسرار التي سيكشف عنها هذا البحث بمشيئة الله ﷻ.

هذا، وقد عكفت على استقصاء المادة العلمية لهذا البحث من (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) للأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي وهو المصدر الأكمل والأوفى في هذا المجال، وبعد استقصائها وجدتها قد زادت على أربعمائة فريدة.

وقد وقفت أمام تلك الفرائد الكثيرة فترات طويلة لأتخير الخطة الملائمة في دراستها فعنَّ لي عند ذاك أكثر من خطة.

الأولى: دراسة هذه الفرائد على حسب ترتيب سور القرآن مبتدئًا بسورة البقرة ثم آل عمران، منتهيًا بسورة الناس.

الثانية: دراسة هذه الفرائد بعد تجريـدها من الزوائد وفق الترتيب الألفبائي أي: مبتدئا بالفريدة المستهلة بالهمزة، ثم المبتدئة بالباء، ثم التاء، إلى الياء.

الثالثة: تقسيـم الفرائد إلي مجموعات متماثلة، وطوائف متناظرة بمعنى دراسة الفرائد الفعلية بأنواعها المختلفة ماض ومضارع وأمر مجردًا ومزيدًا كل على حدة معًا، ثم دراسة الصيغ المشتقة بأنواعها المختلفة معًا، ثم المصادر بأنواعها المختلفة علـى النحو السابق، ثم الأسماء المشتقة والجامدة على اختلاف مسمياتها كل على حدة معًا.

الرابعة: دراسة هذه الفرائد دراسة موضوعية تعتمـد علي ضم كل مجموعة من الفرائد المندرجة حول موضوع واحد معًا، بمعنى دراسة الفرائد التـي وردت في قصة نوح مثلًا، والـواردة في قصة صالح وإبراهيم ويوسف وموسى معًا، وهكذا دواليك.

وبعد معالجة ومعايشة طويلة لهذه البدائل كلها وجدت أن دراسة الفرائد وفق الخطة الأخيـرة هي الأنسب والأرحب؛ لأنها تضم في طياتها محاسن البدائل الأخرى؛ ولأنها ستعطي نتائج غزيرة وكثيرة كما سيتضح في خاتمة الدراسة إن شاء الله تعالى.

هذا، وقد تنوعت الموضوعات التي وردت فيها الفرائـد تنوعًا كثيرًا، وقد حصرت هذه الموضوعات فوجدت أن الفرائد وردت بكثرة في ثنايا القصص النبوي وغيرها من القصص القرآني، كما وردت في ثنايا الحديث عن المؤمنين والكافرين والمنافقين واليهـود والنصارى، كما وردت خلال الحديث القرآني عن يوم القيامة والبعـث والنشور والجنة والنار والشياطين، كمـا جاءت كذلك في سياق الحديث

عن الحيوانات والنباتات والجمادات والمياه والجبال والبلدان والسموات والأرض وغيرها من مظاهر الطبيعة المختلفة، كما وردت فرائد عن القرآن وبدايات سوره، وعن الملائكة، وأخيـرًا عن رب العالميـن سبحانه وتعالى.

هذا، وسيقتصر البحث هنا علـى دراسة الفرائد الواردة في القصة القرآنيـة؛ لأنها من الغزارة والكثرة بمكـان؛ ولأنها تنصب على موضوع واحد مترابط متماسك الأجزاء، وسوف نؤجل دراسة بقية الفرائد على حسب تلك الخطة للجزء الثاني من هذه الدراسة إن شاء الله تعالى.

ومن ثم فقد بُنيت خطة الدراسة في هذا الجزء علـى مقدمة، وتمهيد، واثني عشر مبحثًا، وخاتمة.

المقدمـة: وفيـها تعرضت لأسبـاب اختيار الموضـوع، وخطة الدراسة، ومنهجها.

التمهيـد: وفيه تحدثت عن معنى الفـريدة، وأبنت عن سر تسمية البحث بهذا الاسم، وذكـرت الأقـوال والدراسات التـي دارت حول هذا الموضوع قديمًا وحديثًا.

المبحث الأول: أسرار التعبير بالفرائد في قصة نوح عليه السلام.

واحتوى هذا المبحث على ست فرائد فحسب.

المبحث الثاني: أسرار التعبير بالفرائد في قصة هود عليه السلام.

وورد فيه ست فرائد فقط.

المبحث الثالث: أسرار التعبير بالفرائد في قصة صالح عليه السلام.

ويضم هذا المبحث ثلاث فرائد فحسب.

المبحث الرابع: أسرار التعبير بالفرائد في قصة إبراهيم وإسماعيل ولوط عليهم السلام، ويشتمل على سبع فرائد.

المبحث الخامس: أسرار التعبير بالفرائد في قصة يوسف عليه السلام، ويحوي هذا المبحث ثلاث عشرة فريدة.

المبحث السادس: أسرار التعبير بالفرائد في قصة موسى عليه السلام، ويضم ثمانيًا وثلاثين فريدة.

المبحث السابع: أسرار التعبير بالفرائد في قصة داود وسليمان عليهما السلام، وقد احتوى على تسع فرائد.

المبحث الثامن: أسرار التعبير بالفرائد في قصة يونس عليه السلام .

ويضم أربع فرائد.

المبحث التاسع: أسرار التعبير بالفرائد في قصة زكريا عليه السلام.

ويحوي فريدتين فحسب.

المبحث العاشر: أسرار التعبير بالفرائد في قصة عيسى عليه السلام.

وفيه فريدتان أيضًا.

المبحث الحادي عشر: أسرار التعبير بالفرائد في الحديث عن المصطفي ﷺ، ويضم أربع عشرة فريدة فقط.

المبحث الثاني عشر: أسرار التعبير بالفرائد في قصص قرآني متنوع، ويشتمل على أربع عشرة فريدة فحسب.

هذا، وقد سرت في تحليل تلك الفرائد على نهج لاحب متلئب يتمثل في الخطوات التالية:

١ – ذكرت في بداية كل مبحث نبذة موجزة عن القصة محل الدراسة، ثم أعقبتها بذكر الفرائد مُجَمَّعَةً بين يدي كل مبحث مرتبة على حسب دراستها.

٢ – ذكر الفريدة مصحوبة برقم الآية، واسم السورة.

٣– ذكر ما ورد في كتب اللغة والتفسير من معان لهذه الفرائد، وقد اعتمدت في بيان معنى الفريدة –غالبًا– على كتاب عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي؛ لأنه أوعب وأشمل وأكثر تخصصًا في الحديث عن ألفاظ القرآن الكريم كما ينبئ عنوانه وأحلت القارئ على المراجع اللغوية الأخرى التي عدت إليها وفي كتب التفسير اعتمدت – في الغالب أيضًا – على كتاب فتح البيان للشيخ صديق خان؛ لأنه من أكثر المراجع التفسيرية إيفاء بالمعنى المراد للفرائد، وأحلت القارئ كذلك على كثير من كتب التفسير الأخرى.

٤ – ذكر ما يسمى بمترادفات الفرائد المنصوص عليها في كتب اللغة والتفسير سواء وردت في القرآن أم لم ترد، ثم الموازنة الدقيقة بين الفريدة، وهذه الألفاظ وصولًا إلى إبراز اللمحات الفنية واستشفاف الخصائص الجمالية، واستنباط الأسرار البلاغية وراء اصطفاء تلك الفرائد دون غيرها.

٥- النظر إلى الفريدة من نواحٍ عديدة، من ناحية وسوسة حروفها وصورة لفظها، وإيحاءاتها في سياقها، وكذا النظر إليها من ناحية صيغتها، ومادتها، ودلالاتها، وأثر هذه الأمور على أداء المعني المراد بدقة متناهية فاقت الوصف، وبلغت أقصى الحد من الجمال والكمال والإعجاز.

٦- الحرص -ما أمكن- على ذكر سياق الفريدة بإيجاز، واستصحاب السياق العام للقصة كلها حتى يتضح أثر هذه الفرائد في تلك السياقات، وبيان أن هذه الفرائد قد اقتضاها سياق الكلام واستدعاها المعنى العام.

٧- دراسة الآيات التي ترد فيها أكثرُ من فريدة معًا في موطن واحد مثل قوله تعالى: ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات:١٠٣]، وقوله: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ [هود:٤٤] كي لا يتجزأ سياق الآيات.

٨- استخلاص النتائج المختلفة من التعبير بهذه الفرائد المتنوعة صيغة ومادة ودلالة.

وبعدُ...

فهذا ما هُديتُ إليه فإن وفقت فالفضل لله وحده، وإن كانت الأخرى فحسبي أني اجتهدت، وبذلت قصارى ما عندي، وعبدت هذا الطريق الذي لم يسلكه أحد قبلي على هذا النحو.

وأدعو إخواني الباحثين أن يسيروا على الدرب، ويصححوا ما يرونه من عيب،

وما يطلعون عليه من نقص فإن القرآن لا يتوقف عطاؤه على شخص دون آخر.

والله ولي التوفيق وعليه التكلان.

الدكتور

عبد الله عبد الغني سرحان

أبها - السعودية

التمهيد

لفظة الفـرائد التي وردت في عنوان هذا البحث هي جمع فريدة، وهذه المادة في المعاجم يدور معناها حول الشيء المنقطع الشبيه الذي لا مثيل له ولا نظير.

يقول ابنُ منظور في مادة (فرد): «والفـرد بالفتح والضم هو منقطع القرين لا مثل له في جودته، واستفرد الشيء: أخرجه من بين أصحابه، وأفرده: جعله فردًا... والفـريد والفـرائد: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب واحدته فريدة... وقيل: الفـريد بغير هاء الجوهرة النفيسة كأنهـا مفردة في نوعها، والفرَّاد صانعها، وذهب مفرد مفصل بالفريد»[1].

وبالقياس على ما ذكره ابن منظور تُعدُّ اللفظة التي وردت في القرآن، ولم تتكرر قط على أي صورة من صورها اللفظية كالياقوتة التي هي فريدة العقد وعين القلادة، ومِنْ ثَمَّ فإن تسمية هذه الألفاظ بالفرائد تسمية صحيحة تتفق في مدلولها العام مع ما ورد عن تلك اللفظة في المعاجم.

(١) لسان العرب (فرد).

ولستُ بدعًا في إطلاقها فقد وردت في عناوين مؤلفات كثيرة قديمة لوحظ فيها هذا المعني ذكرها حاج خليفة في كشف الظنون [1]، منها على سبيل المثال لا الحصر: الفـرائد السنية في حل الفوائد الفنارية لأبي بكر بن عبد الوهاب الحلبي، وبـدائع الفرائد لابن قيم الجوزية، وبغيـة الرائد في الدرر الفرائد لابن الرَّفَّا، وغرر الفرائـد ودرر القلائـد للشريف مرتضى البغدادي، وقيد الشرائد ونظم الفرائد للشيخ عبد الوهاب بن أحمد بن وهبان الدمشقي، وغير ذلك كثير تركناه خشية الإطالة.

هذا، وقد وقع الاختيار على تلك الفرائد دون غيرها من ألفاظ القرآن؛ لأن الحديث عن عامة الألفاظ يحتاج إلي مجلدات ومجلـدات فضلًا عن أن كثيرًا من المفسرين واللغويين والبلاغيين قد تناولوا ألفاظ القرآن من نواح شتى.

أما هذه الفرائد فلم يدرسها -على حد علمي، والله أعلم- أحد قبلي من الناحية الجمالية والفنية والإبداعية، أقول هذا؛ لأن هناك أقوالًا ومؤلفات قديمًا وحديثًا عرضت للفـرائـد من جهات مختلفـة لكنها لم تعرض لها ألبتة فنيًّا وبلاغيًّا على حسب المنهج الذي نسير عليه هنا.

أما في القديم فلم أجد مؤلفًا مستقلًا جمع هذه الفرائد، وتحدث عنها على أي وجه كان، اللهم إلا أقوال مرسلة لا تتجاوز بضعـة أسطـر. فالسيوطي في الإتقان يقول: «الفرائد مختصة بالفصاحة دون البلاغة لأنها الإتيان بلفظة تتنزل منزلة الفريدة من العقد وهي الجوهرة التي لا نظير لها تدل على عظم فصاحة هذا الكلام، وقوة عارضته، وجزالة منطقه، وأصالـة عربيته بحيث لو أُسقِطت من الكلام عزت علـى

(١) كشف الظنون لحاج خليفة ١/ ٢٠٧، ٢٣٠، ٢٤٨، ٢/ ١٢٠١، ١٨٦٥.

الفصحاء غرابتها، ومنه لفظ: ﴿حَصۡحَصَ﴾ في قوله: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾، و﴿ٱلرَّفَثُ﴾ في قوله: ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾، ولفظة ﴿فُزِّعَ﴾ في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾، و﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ في قوله: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾ وألفاظ أخري كقوله: ﴿فَلَمَّا ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ مِنۡهُ خَلَصُواْ نَجِيّٗا﴾، وقوله: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمۡ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلۡمُنذَرِينَ﴾»[1].

فكما يلاحظ عرف الفرائد تعريفًا دقيقًا ينطبق على ما ذكرناه، ولكنه عند التطبيق وضرب الأمثلة خلط بين الفرائد وبين غيرها من الألفاظ التي تكررت موادها في القرآن الكريم مثل: ﴿ٱلرَّفَثُ﴾، و﴿فُزِّعَ﴾، و﴿خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ﴾، ﴿خَلَصُواْ نَجِيّٗا﴾؛ فإنَّ هذه الكلمات قد تكررت بنفسها وبصيغ أخري من مادتها.

وتحدث ابنُ الأثيـر عن سر التعبير بالفريدة ﴿ضِيزَىٰ﴾ فقال: «حضر عندي في بعض الأيام رجل متفلسف، فجرى ذكر القرآن الكريم، فأخذت في وصفه، وَذِكْرُ ما اشتملت عليه ألفاظه ومعانيه من الفصاحة والبلاغة، فقال ذلك الرجل: وأي فصاحة هناك، وهو يقول: ﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾، فهل في لفظة ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ من الحسن ما يوصف؟ فقلت له: اعلم أن لاستعمال الألفاظ أسرارًا لم تقف عليها أنت ولا أئمتك، مثل ابن سينا والفارابي، ولا من أضلهم مثل أرسطاليس وأفلاطون وهذه اللفظة التي أنكرتها في القرآن وهي لفظة ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ فإنها في موضعها لا يسد غيرها مسدها، ألا ترى أن السورة كلها التي هي سورة (النجم) مسجوعة على حرف الياء فقال تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾، وكذلك إلى

(١) الإتقان للسيوطي ٢/ ٢٥٠ .

آخر السورة، فلما ذكر الأصنام وقسمة الأولاد وما كان يزعمه الكفار قال: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾، فجاءت اللفظة على الحرف المسجوع الذي جاءت السورة جميعها عليه، وغيرها لا يسد مسدها في مكانها، وإذا نزلنا معك أيها المعاند على ما تريد قلنا: إن غير هذه اللفظة أحسن منها ولكنها في هذا الموضع لا ترد ملائمة لأخواتها ولا مناسبة؛ لأنها تكون خارجة عن حرف السورة، وسأبين ذلك فأقول: إذا جئنا بلفظة في معنى هذه اللفظة قلنا: قسمة جائرة أو ظالمة ولا شك أن (جائرة) أو (ظالمة) أحسن من ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ إلا أنا إذا نظمنا الكلام فقلنا: (ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذا قسمة ظالمة) لم يكن النظم كالنظم الأول وصار الكلام كالشيء المُعوزِ الذي يحتاج إلى تمام، وهذا لا يخفى على من لـه ذوق ومعرفة بنظم الكلام، فلما سمع ذلك الرجل ما أوردته عليه رَبَا لسانه في فمه إفحامًا، ولم يكن عنده في ذلك شيء سوى العناد الذي مستنده تقليد بعض الزنادقة الذين يكفرون تشهيًا، ويقولـون ما يقولونه جهلًا، وإذا حققوا عليـه ظهر عجزهم وقصورهم»[1].

كما تحدث الحموي في خزانة الأدب عن الفرائد فقال: «الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة لأن المراد منه أن يأتي الناظم أو الناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد، وتدل على فصاحة المتكلم بها بحيث أن تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها كقوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾، فقوله تعالى: ﴿ٱلرَّفَثُ﴾ فريدة لا يقوم غيرها مقامها، وكقوله تعالـى: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ

(١) المثل السائر لابن الأثير ١/ ١٧٦ ـ ١٧٧ .

﴿غَنَمِي﴾، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ فريدة يعز على الفصحاء أن يأتوا بمثلها في مكانها»[1].

فكما ترى عَرَّفَ الفرائد تعريفًا دقيقًا ينسجم مع ما ذكرناه عنها، ولكنه عند التطبيق أدخل كلماتٍ ليست فرائد -كما فعل السيوطي- مثل كلمة ﴿ٱلرَّفَثُ﴾ فقد وردت في القرآن في موضعين.

كذلك تحدث ابنُ تيمية عن ذلك فقال: «والقرآن نزل بلغة قريش الموجودة في القرآن فإنها تفسر بلغته المعروفة فيه إذا وجدت لا يعدل عن لغته المعروفة مع وجودها وإنما يحتاج إلى غير لغته في لفظ لم يوجد له نظير في القرآن كقوله: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ﴾، ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾، ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾، ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾، و﴿قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ ونحو ذلك من الألفاظ الغريبة في القرآن»[2]؛ حيث ذكر بعض الفرائد وهي (﴿مَنَاصٍ﴾، ﴿دِهَاقًا﴾، ﴿وَأَبًّا﴾، ﴿ضِيزَىٰٓ﴾)، وعدها لا نظير لها في القرآن، وقد وفِّق في ذلك أيما توفيق ماعدا كلمة ﴿وَيْكَأَنَّ﴾ فقد ذكرت في القرآن مرتين.

هذا ما وقع تحت يديَّ من أقوال عن الفرائد لدي القدماء بالمعني الذي قررناه.

أما ما ورد **عند المحدثين** فقد عرضوا لهذه القضية على النحو التالي:

١- نحا الرافعي -رحمه الله- منحى ابن الأثير حين أبان عن أسرار إيثار التعبير بالفريدة ﴿ضِيزَىٰٓ﴾ على ما يقاربها من ظالمة أو جائرة فقال: «في القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة

(١) خزانة الأدب للحموي ٢/ ٢٩٧ .

(٢) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير ١٥ / ٨٨ .

﴿ضِيزَىٰٓ﴾ من قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أدرت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها، فإن السورة التي هي منها - وهي سورة النجم - مفصلة كلها على الياء، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل، ثم هي في معرض الإنكار على العرب إذ وردت في ذكر الأصنام، وزعمهم في قسمة الأولاد؛ فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع وأدهم البنات فقال تعالى: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ٢١ تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها»[1].

٢- وقفت د/ بنت الشاطئ أمام عدد قليل من الفرائد الواردة في قصار السور في كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم)[2] بجزأيه الأول والثاني؛ حيث ذكرت أنها من الصيغ الوحيدة مادة وصيغة، ومستها مسًّا لغويًّا خفيفًا.

كما علقت تعليقًا لغويًّا سريعًا على الفرائد الواردة في (مسائل ابن الأزرق) في كتابها: (الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق دراسة قرآنية لغوية وبيانية[3].

٣- ومن هذه الدراسات أيضًا رسالة (مفاريد الألفاظ في القرآن دراسة لغوية) وقد تناولت الدراسة الفرائدَ دراسة صوتية وصرفية ومعجمية بحتة بعيدة كل البعد عن الدراسة الفنية الجمالية للفريدة في إطار سياقها كما أبان هو عن منهجه في مقدمة رسالته، وقد أوصى الباحث في خاتمتها بدراسة هذه الفرائد من الناحية البلاغية

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم ١ / ٣١، ١٠٦، ١١١، ١١٦، ٢ / ٣١، ٥٩، ٦٣، ١٣٩.

(٣) انظر على سبيل المثال ص٣١١، ٣٣٣، ٣٤٥، ٣٨٧، ٤٢٢، ٤٣٦، ٤٩٧، ٥٣٥.

الجمالية[1].

وقد كنتُ شرعتُ -بتوفيق الله ﷻ- في جمع المادة العلمية لهذا البحث ودراستها دراسة فنية جمالية قبل أن أطلع على هذه الرسالة بزمنٍ، وحين اطلعت عليها زادني ذلك تصميمًا على مواصلة البحث من الناحية البلاغية حتى تكتمل دراسة الفرائد من شتي الجهات والمحاور[2].

وللأمانة العلمية ينبغي أن أُشير هنا إلى إفادتي من هذه الرسالة في تثبيت عدد الفرائد التي جمعتها، وقد استدركت عليه بعضها كما سيأتي بعد.

٤- وأحدث ما صدر من مؤلفات في هذا المجال بحث بعنوان (الألفاظ الوحيدة في القرآن وسر إعجازها)[3] وهو كتيب صغير ذكر فيه الباحث أكثر فرائد القرآن حوالي (٣٧١) فريدة كل فريدة مصحوبة بذكر معناها المعجمي بإيجاز شديد، ولم يتطرق ألبتة لأي لمحة بيانية أو خصيصة جمالية في تلك الفرائد، وهذا يتناقض مع عنوان البحث الذي يشير بأنه درس هذه الألفاظ دراسة بلاغية مُبينًا عن أسرار

---

(١) مفاريد الألفاظ في القرآن دراسة لغوية رسالة (ماجستير) للباحث محمود يونس مخطوطة بكلية اللغة العربية بالقاهرة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

(٢) ولكنى قد شغلتُ عن مواصلة السير في هذا البحث بالرغم من توافر مادته العلمية لديَّ ببحث آخر هو (مصر في القرآن دراسة بلاغية) الصادر عام ١٤٢١هـ بمناسبة مرور ١٤٠٠عام على دخول الإسلام مصر، وقد عرضتُ فيه لبعض الفرائد المتصلة بذلك الموضوع، وهاأنا ذا أعود من جديد لدراسة هذا الموضوع الجديد في بابه بعد انقطاعي فترة عنه.

(٣) راجع بحث الألفاظ الوحيدة في القرآن وسر إعجازها د/ عاطف المليجي - دار حورس للطباعة والنشر عام ٢٠٠٢م - القاهرة.

إعجازها، وهذا ما لم يحدث، ومن ثَمَّ فلن ألتفت إليه في هذا البحث، لأن مادته العلمية لا جديد فيها.

وبعد هذا العرض المفصل حول الحديث عن الفرائد قديمًا وحديثًا نبدأ بعون الله وتوفيقه في تحليل تلك الفرائد، وبيان أسرار التعبير بها وفق المنهج الذي انتهجناه.

فأقول وبالله التوفيق ومنه العون والسداد: